

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press



لدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية البينية

مجلة علمية محكمة لمركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن دار نشر جامعة قطر - المجلد الأول، العدد الأول، ٢٠١٩



ISSN: 2664-7877 (Online)
ISSN: 2664-7869 (Print)

تجسير، المجلد الأول، العدد الأول، 2019

دار نشر جامعة قطر
الدوحة – قطر
ص.ب.: 2713 الدوحة – قطر
بريد إلكتروني: qupress@qu.edu.qa

Tajseer, Volume 1, Issue 1, 2019

Qatar University Press
Doha – Qatar
P. O. Box: 2713 Doha – Qatar
Email: qupress@qu.edu.qa

ISSN: 2664-7877 (Online)
ISSN: 2664-7869 (Print)

هيئة التحرير
Editorial Committee

"تجسير" مجلة علمية لمركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن دار نشر جامعة قطر وتُعنى بنشر البحوث العلمية العابرة للتخصصات التي تعالج الإشكالات والظواهر معالجة بينية وتُجسِّر معرفيًا بين فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة مع تركيز خاص على قضايا العالم العربي والإسلامي. تتيح المجلة وصولاً حرًّا ومجانيًا لمحتوياتها وتلتزم بسياسة تحرير وتحكيم متوازنة تقوم على الموضوعيّة والمهنية. تصدر المجلة تحت الرقم التسلسلي المعياري الدولي (ISSN) الإلكتروني: 2664-7877 والمطبوع: 2664-7869.

الرؤية

أن تكون مجلة "تجسير" رائدة في الأبحاث البينية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم العربي والإسلامي.

الرَسالة

إثراء البيئة الفكريّة في الأوساط العلميّة ببحوث ذات كفاءة علميّة عاليّة، تُسهم في تلبيَة الاحتياجات النظريّة والواقعيّة، وتسعى حثيثًا لتجسير الهوّة بين فروع العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة من جانب، وبين العلوم الشرعيّة من جانبٍ آخر وصولًا لتحقيق التّكامل المعرفي بينهما.

الأهداف

تصبو مجلة "تجسير" إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها:

- أن تكون منصّة بحثية لها الرّيادة في العالم العربي.
- تجسير الهوّة بين مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تجسير الهوة بين العلوم الاجتماعية والنظام المعرفي الإسلامي.
- تنشيط البيئة الفكريّة في الأوساط العلميّة نهوضًا بمستوى المعرفة من خلال البحث العلمي المؤصَّل.
- إتاحة مرجع علمي للباحثين في فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

Tajseer is the bilingual peer-reviewed journal of Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences at Qatar University. It publishes original interdisciplinary research in the field of social sciences and humanities, with a particular focus on the Arab and Islamic world. Tajseer is an open access journal published by Qatar University Press. ISSN (online): 2664-7877 and ISSN (print): 2664-7869.

Vision

To be a leading journal in interdisciplinary research in the field of humanities and social sciences, in the Arab and Islamic world.

Mission

- Enriching the scientific community through high-quality scholarly research that contributes to meeting the intellectual and practical needs of Arab and Muslim societies.
- Striving towards integrating local knowledge through bridging the gap between various social sciences and Islamic studies.

Objectives

- To be a leading platform for academics and researchers in the Arab world.
- To bridge the gap between various social sciences and Islamic studies.
- To re-energize the intellectual community in the region with the objective of improving the standards of scientific research.
- To provide a scientific reference for researchers in humanities and social sciences.

المحتويات





OPEN ACCESS

افتتاحية العدد

أ. د. التيجاني عبد القادر
رئيس قسم العلوم الاجتماعية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر

يسرنا في هيئة التحرير أن تمكنّا بحمد الله من إخراج العدد الأول من مجلة "تجسير" العلمية، والتي نرجو لها أن تكون بحقٍّ «جسرًا» يخرج عبره الباحث من تخصص دقيق ليدخل فضاءات بحثية أرحب، يلتقي فيها مجموعات من العلماء والباحثين من شتّى التخصصات والاتجاهات الفكرية ويتفاعل معهم، أخذًا وعطاءً. إذ إن رسالة المجلة هي إثراء البيئة الفكرية في الأوساط العلمية، والسعي الحثيث لتجسير الهوّة بين فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية من جانب، وبينها وبين العلوم الشرعية من الجانب الآخر وصولًا لدرجة من التكامل المعرفي.

تنطلق مجلة "تجسير" من أطر العمل الرئيسة التي يتبناها مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي المثاقفة، والتجديد، والتجسير، والأقلمة والمواكبة. ومن طموح المركز في أن يوفر للباحثين منصات تنافسية لنشر وتداول إنتاجهم البحثي في تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة. وتطلّعه إلى تحويل عبور التخصصات من مجرد دعوة لحركة خلّاقة فاعلة في الدفع بالعلوم الاجتماعية إلى تقديم أجوبة حيّة متكاملة عن أسئلة الفكر والواقع العربي، من محيطه إلى خليجه.

لقد كانت العلوم الاجتماعية، ولعهد قريب، تميل نحو العزل والتجزئة، سواء بسبب الظواهر التي تدرسها، أو المناهج التي تستخدمها. وقد ترتّب على ذلك أن تجزّأت العلوم إلى حقول مختلفة، ورُبط كل حقل علمي بجانب من جوانب الظاهرة الاجتماعية؛ فهنالك علوم اقتصادية لتقابل حاجات السوق والمعاش، وعلوم سياسية وإدارية لتقابل حاجات الدولة، وأخرى نفسية لتقابل حاجات الفرد الذي يصاب بالانهيار تحت ثقل السوق والدولة. ثم شيدت بين هذه العلوم فواصل صارمة، وصارت المؤسسات الجامعية تجسّد تلك الفواصل شكلًا ومضمونًا.

غير أن الأزمات العالمية الحادّة – منذ مطلع القرن العشرين – قد أعادت العلوم الاجتماعية والإنسانية لشيء من التكامل والتوحّد؛ إذ تؤكد للجميع أن تخصصًا واحدًا – مهما برع أصحابه – لا يستطيع أن يحيط بالظواهر الجديدة التي تتخطى التخصصات وتعبر القارات. فظاهرة الكساد العظيم (1931) مثلا، أو ظاهرة الحربين العالميتين، أو ظاهرة الانقلابات العسكرية، أو ظاهرة التطرف والإرهاب، ليست ظواهر عسكرية أو سياسية فحسب، بقدر ما هي ظواهر اجتماعية شاملة، تتداخل فيها السياسة مع الاقتصاد، وتتلاقى فيها العوامل النفسية والدينية، وتعززها الخلفيات التاريخية والموروثات الثقافية. ولمجابهة هذا الوضع صارت كثير من المؤسسات الجامعية والمنظمات الدولية تولي اهتمامًا خاصًا بالعلوم الاجتماعية كمنظومة متكاملة تعمل على تحسين أوضاع الحياة الإنسانية، وتمكّن من الاستجابة لتحديات المستقبل. ولذلك فقد صار من المألوف أن تتعالى الأصوات التي تنادي برفع «الحواجز» ووضع «الجسور»، لتظهر من ثَمَّ الدراسات البينية، والمتداخلة، والعابرة للتخصصات.

https://doi.org/10.29117/tis.2019.0004

وحيث إن مجلة "تجسير" تسير في هذا الاتجاه التكاملي، سيلاحظ القارئ أننا خصّصنا في هذا العدد ملفا للدراسات اللغوية والقرآنية، يتضمن مقاربات متداخلة التخصصات وقفت على قضايا تتعلق بالبحث المصطلحي والمفاهيمي والألسني في علاقته بالدراسات القرآنية، كما ضم العدد مساهمة تأسيسية في علم لغة القرآن الكريم. وإذ تخصص المجلة عددها الأول لهذا الملف، فإنها تنفتح كذلك على مواضيع متنوعة تشمل التجسير المعرفي من حيث رؤيته ومنطلقاته ومساراته، كما تقف على الإشكالات التي تثيرها مرجعية التحديث السياسي في العالم الإسلامي، وتتناول دراسة منشورة في هذ العدد كذلك موضوعًا يتعلق بالتوظيف السياسي الخارجي للأقليات العربية في إيران وأثره على العلاقات الإيرانية العربية، كما تتناول دراستان قضايا منهجية تتعلق ببناء المفاهيم والمصطلحات في العلوم الاجتماعية بالتحليل النقدي للخطاب.

وفي الشق المتعلق بمراجعات الكتب، تضمّن العدد مراجعة لكتاب «الإسلام من غير أوروبا»، ومناقشة لكتاب «المسافة والتحليل في صياغة أنثروبولوجيا عربية»، وهي كلها كتب رأينا أهميتها من حيث الأصالة في الطرح والحداثة في الإصدار، وسوف تدأب المجلة على نشر مراجعات لجديد الكتب الصادرة في أعدادها اللاحقة. وقد تضمن العدد كذلك تقريرًا حول مؤتمر دولي بالغ الأهمية نظّمه مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بجامعة قطر، حول موضوع التعدد القومي في الشرق الأوسط.

نعتبر في مجلة "تجسير" العلمية أن من أدوارنا المشاركة الفاعلة في تكوين جماعة علمية جادة، منفتحة على بعضها، وعلى تخصصات متعددة، مفكرة بحذر إبستمولوجي في قضاياها وقضايا العالم من حولها، بعيدًا عن التعميم والقطع النهائيين، ولها التزام وإحساس بالمسؤولية إزاء الواقع. تدعم المجلة البحوث البينية الجريئة التي ترتاد آفاقًا بعيدة من المعرفة، وتبتدع في سبيل ذلك مناهج جديدة في البحث، وتنأى عن التكرار والتقليد وعن الإمبريقية الضيقة والفقر في التنظير. وقد تخيرنا لهذا العدد أفضل ما توصلنا به، بعد عملية صارمة من التحكيم الداخلي والخارجي. ونرجو أن يكون هذا المنهج دافعًا لنا وللباحثين نحو المزيد من الإتقان والتميّز في الأعداد المقبلة بإذن الله، والتي ندعو الباحثين من مختلف المشارب والخلفيات إلى المساهمة الفاعلة فيها.

وعلى الله قصد السبيل.

للاقتباس: عبدالقادر ا. ، «افتتاحية العدد»، مجلة تجسير، المجلد الأوّل، العدد الأوّل، 2019





Editorial Foreword

Prof. Eltigani Abdelgadir
Head of the Social Sciences Department, Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

On behalf of the Editorial Committee members, we are pleased to present the first issue of Tajseer, the peer-reviewed journal of Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences published by Qatar University Press (QU Press).

Tajseer publishes original research papers, critical book and article reviews, and various reports and briefs in interdisciplinary studies. The journal aims to challenge the limited approaches of isolated scientific disciplines by opening the disciplinary boundaries and bridging the gap between social sciences and Islamic studies. This allows for a better understanding of different concerns related to the Arab and Islamic world, in addition to helping resolve outstanding intra-regional issues.

There is an urgent need to increase interest in interdisciplinary research approaches and to re-integrate global knowledge in academia. Driven by the Center's vision to play a pioneering role in the Arab and Islamic world in re-examining the theoretical and practical aspects of social sciences and humanities, Tajseer seeks to contribute to this new vision and become a platform for interdisciplinary research in the region and beyond.

In our view, such interdisciplinary projects necessitate the involvement of researchers from different disciplinary backgrounds along with the joint establishment of original theoretical models that integrates conceptual frameworks from different disciplines, considering the actual needs of Arab and Muslim societies.

This first special issue of Tajseer tackles "the Arabic language and the Holy Quran" and includes the following articles: "Terminological Research in Quranic Studies: Scientific Pillars and Methodological Problems" by Omar Hidoussi; "The Quranic Language and its Vision of the World as a Methodological Basis for Building Concepts: The case of the concept of 'acquaintance'" by Chaymae Fouikhri; "The Fallacy of Prioritizing the Arabic Language over Quranic Language and its Impact on the Conceptualization of Quranic Terms and Concepts" by Abdelfettah Ezzouini; and a foundational contribution in what the author, Ayad Al-Arnawtee called "The Science of the Holy Quran Language: Its reasons and insights".

https://doi.org/10.29117/tis.2019.0005

This edition also includes five lengthy articles on various interdisciplinary topics, including an opening contribution by Meshari Alruwaih titled “Knowledge Bridging: Vision, Justifications, and Pathways” followed by “The Logical Construction of Concept and the Ambiguity in Term Formation” by Boualem Maater; “Political Modernization and the Question of References: A Values Input” by Mohammed Amzziane; “The External Political Use of Arab Minorities in Iran and its Impact on the Iranian-Arab Relations” by Nassireddine Baki; and “Analyzing the Social Discourse: An Overview of Concepts and Terminologies” by Hassan Malek.

Other contributions are also featured in this diverse issue of Tajseer, including a book review by Naser Dumairieh of “Islam without Europe: Traditions of Reform in Eighteenth-Century Islamic Thought by Ahmad Dallal”. In addition, Elmehdi Lahmamed reviews the distinguished career and contributions of the Arab anthropologist Abdellah Hammoudi through his new book titled “Convergence and Analysis: Towards the Elaboration of an Arab Anthropology”. This edition of Tajseer concludes with a report by Hossain Mohamed Naimul Hoque on the International Conference on National Pluralism in the Middle East that was hosted by Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences in March 2019.

We believe that it is our core mission to support the Arab and Muslim scientific communities and, at the same time, reflect on the ongoing interdisciplinary progress and development within humanities and social sciences in the Western world, and critically benefit from their achievements.

Finally, we would like to thank all who have contributed to this issue. We expect that Tajseer will continue to publish original, theoretically grounded, and well-written papers from regional and international academics and researchers.

للاقتباس: عبدالقادر ا. ، «افتتاحية العدد»، مجلة تجسير، المجلد الأوّل، العدد الأوّل، 2019

OPEN ACCESS

Submitted: 13 January 2019
Accepted: 26 February 2019

ملف العدد: النص القرآني واللغة العربية

خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية

عبد الفتاح الزويني
أستاذ أكاديمية التربية وتكوين الأطر، المملكة المغربية
ezzouinialfatihi55@gmail.com

ملخص

تناقش هذه الدراسة مجموعة من الإشكاليات المتعلقة بعلم بيان اللسان القرآني من خلال تعامل المفسر مع النص القرآني، إذ كيف يمكن التوفيق بين اللسان العربي الذي يحمل رُؤْيَةَ المفسر، وبين الرؤية القرآنية المودعة في كلماته وآياته وسوره؟ وهل يصلح المنهج اللساني في إقامة المصطلحات والمفاهيم القرآنية بمعزل عن السياق الذي استعمل فيه اللسان القرآني مصطلحاته ومفاهيمه؟ وكيف يمكن إقامة المفاهيم القرآنية دون توجيه دلالات اللسان القرآني المطلقة، تقديمًا وتغليبًا للسان العربي النسبي، في حفاظ تام على خصوصية عالمية اللسان القرآني وشموليته التي تتخطى حدود الزمان والمكان والإنسان؟

الكلمات المفتاحية: مفاهيم متكاملة، التفسير اللغوي، الوحدة البنائية، حاكمية اللغة، المنهج اللساني

للاقتباس: الزويني ع.، «خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية»، مجلة تجسير، المجلد الأوّل، العدد الأوّل، 2019

https://doi.org/10.29117/tis.2019.0008

Submitted: 13 January 2019
Accepted: 26 February 2019

The Fallacy of Prioritizing the Arabic Language over Quranic Language and its Impact on the Conceptualization of Quranic Terms and Concepts

Abdelfettah Ezzouini
Professor at the Education and Training Academy, Kingdom of Morocco
ezzouinialfatihi55@gmail.com

Abstract

This study aims to discuss a number of significant problems related to the linguistic revelation of the Quran based on the interpretation of Quranic texts. It also aims to identify how the Arabic language can be reconciled with the Quranic vision and the terms and verses of the Quranic text. Does the linguistic approach fit in the establishment of the Quranic terms and concepts separately from the context of the Quranic language, terminology and concepts? How can the Quranic concepts be established without providing the utter Quanic connotations of the language to the Arabic language in order to preserve the universality of the Quranic language and its comprehensiveness that transcends the limits of time, place and human being?

Keywords: Integrated concepts; Language interpretation; Structural unit; Language governance; Linguistic approach

للاقتباس: الزويني ع.، «خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية»، مجلة تجسير، المجلد الأوّل، العدد الأوّل، 2019

https://doi.org/10.29117/tis.2019.0008

مقدمة

من أهم مظاهر إعجاز اللسان القرآني تلك الثورة الكبرى التي أحدثتها مصطلحاتُه ومفاهيمُه، إذ اختيرت اختيارًا خاصًا، واستعملت استعمالًا جديدًا لم يعهده اللسان العربي، فأحدثت ظاهرة لغوية فريدة في تاريخ اللغات البشرية، ارتقى اللسان القرآني – من خلالها – باللسان العربي فكان خطابه للعالمين في أعلى مراتب البيان، جدد في اللسانيات العربية كل شيء تقريبًا (المصطلحات، المفاهيم، الأساليب، السياقات، الجمل، التعبيرات، الصور، القواعد، المآلات...)؛ وبهذا تكون اللغة العربية قد مرت بطفرة لغوية مباغتة من المرحلة اللسانية العربية إلى لسان قرآني منظم معجز فنيا، قادر على نقل فكرة الثقافة الجديدة والحضارة الوليدة للناس أجمعين.

وفي هذا السياق تبرز إشكالية بالغة الأهمية تتعلق بعلم بيان اللسان القرآني من خلال تعامل المفسر مع النص القرآني؛ إذ كيف يمكن التوفيق بين اللسان العربي الذي يحمل رُؤْيَةَ المفسر، وبين الرؤية القرآنية المودعة في كلماته وآياته وسوره؟ وهل يمكن الاعتماد على معجم اللسان العربي فقط في تفسير مفردات اللسان القرآني؟ إلى أي حد يصلح المنهج اللساني في إقامة المصطلحات والمفاهيم القرآنية بمعزل عن السياق الذي استعمل فيه اللسان القرآني مصطلحاتِه ومفاهيمَه؟ وكيف نفهم تجليات اللسان القرآني بدون أن نفهم ما يتعلق بها من أسباب وسياقات متعددة؟ وكيف يمكن إقامة المفاهيم القرآنية دون توجيه دلالات اللسان القرآني المطلقة، تقديمًا وتغليبًا للسان العربي النسبي، في حفاظ تام على خصوصية عالمية اللسان القرآني وشموليته التي تتخطى حدود الزمان والمكان والإنسان؟

ومن هذا المنظور، فلهذه الدراسة الموسومة بـ «خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية» أهمية كبرى في تبيان تجليات الخلل في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية عند تقديم أو تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني من جهة، والوقوف على آثارها وتداعياتها المنهجية في إقامة المفاهيم والمصطلحات القرآنية من جهة ثانية. وحول سابقة البحث، فبعد بذل الجهد فيه والمطالعة لم أهتد إلى دراسة شاملة تتناول هذا الموضوع من حيث خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية. غير أنه لا بد من الإشارة هنا إلى وجود بعض الدراسات والبحوث القيّمة ذات الصلة بالموضوع، وسأقدم عرضًا موجزًا لبعضها بهدف الاستفادة منها في تحديد مسار الدراسة وبناء منهجيتها، وذلك حسب تاريخ نشرها بدءًا بالأقدم كما يلي:

هناك العديد من المؤلفات التراثية المتعلقة ببيان معاني القرآن الكريم، تعددت مشاربها وأصنافها، وسنفرد بعضها بالتحليل والمناقشة في هذا البحث، وتشمل: مصنفات «معاني القرآن» التي اشتهر فيها: الفراء (ت 207 هـ)، الأخفش (ت 215 هـ)، الزجاج (ت 311 هـ)، ومصنفات «إعراب القرآن» لأبي جعفر النحاس (ت 338 هـ)، ابن خالويه (ت 370 هـ)، مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ)، الخطيب التبريزي (ت 502 هـ)، ومصنفات «غريب القرآن»، ولعل أول من ألف في هذا الصّنف الصّحابي الجليل عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت 68 هـ)، ثم تبعه ابن قتيبة (ت 276 هـ)، محمد بن عزيز السجستاني (ت 330 هـ)، وابن الجوزي (ت 597 هـ)، وأبو حيان النحوي (ت 745 هـ).

والملحظ العام حول هذه المؤلفات أنها كانت – عمومًا – من نتاج علماء البصرة والكوفة موطني الصناعة النحوية، ومعلوم ما كان بينهما من خلاف وتنافس علمي في هذا المجال الذي لا يبعُد أن يكون قد انتقل إلى البحث اللغوي، فإذا تأملت مجمل المصنفات السابقة التي أُدخل فيها إعراب القرآن، فإنك تكاد تجزم بأن البحث النحوي هو الأصل في هذه الكتب، وأن البحث اللغوي تابع له، ويدل على ذلك: كثرة البحوث والمناقشات النحوية؛ ويستنبط من هذا أن هؤلاء العلماء كأنهم أرادوا بالتأليف في «معاني القرآن» إبراز مذهبهم النحوي الذي ينتمون إليه، وليس بيان اللسان القرآني، فإنه لو جُرِّدَ ما يتعلق بالتفسير في هذه الكتب، فإنها لا تعدو أن تكون كتابًا في غريب القرآن. دون أن ننسى التفاسير اللغوية كجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت: 310)، والجامع لعلم القرآن للرماني (ت: 382)، والمحرر الوجيز لابن عطية (ت:

542)، وغيرها من التفاسير. غير أنها هي الأخرى لم تسلم من سطوة النزعة النحوية، وطغيان حاكمية اللسان العربي عمومًا أثناء البناء المفاهيمي للمفردات القرآنية.

أما المؤلفات والدراسات المعاصرة المتعلقة بموضوع الدراسة، فنجد:

أولًا: دراسة الدكتور الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، بعنوان: «التفسير اللغوي للقرآن الكريم»، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض/السعودية، 1421هـ. حاول المؤلف جاهدًا من خلالها أن يلملم أطراف موضوع التفسير اللغوي، عبر بحث عدة مسائل، وقد استلب منه أطرافًا رأى أنها جديرة بالبحث والتحرير، وقد خلُص إلى أن اللغة ليست المصدر الوحيد الذي يمكن لمن أحكمه أن يفسر القرآن، إذ لا بد للمفسر من معرفة مصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره، فرأى أن يضع لذلك قواعد ضابطة للتفسير اللغوي نذكر منها: أن كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته، وهو مقدم على قول اللغويين، لا يصح اعتماد اللغة وحدها دون غيرها من المصادر التفسيرية.

ثانيًا: دراسة الدكتور طه جابر العلواني بعنوان «اللسان القرآني ومستقبل الأمة القطب»، والتي أشار فيها المؤلف– بنفس علمي فريد – إلى حاجة الأمة لبناء «قاموس قرآني مفاهيمي» يُعتمد فيه على القرآن المجيد أساسًا، وتُجعل لغات العرب فيه مراجع ساندة ومعضدة لا حاكمة، وتكون الحاكمية في ذلك للقرآن المجيد على كل ما عداه من شعر العرب ونثرهم، وسجعهم وسائر فنون كلامهم[1].

ثالثًا: دراسة الدكتور راتب بن عبد الوهاب بن محمد السمان، بعنوان «إحياء لسان القرآن مقدمة إلى كتاب لسان القرآن»، طبعة 2009م. والتي حاول المؤلف من خلالها كشف الألفاظ الأصول لجميع ألفاظ القرآن الكريم، وبيان المعنى الوحيد لها، كما تطرق إلى ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وخلص إلى إعادة بناء ميزان صرفي واشتقاقي خاص بالمفردات القرآنية.

أما من حيث الاستفادة والإضافة، فتتعلق – في العمق– بدحض نظرية تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية، وذلك بإبراز المخالفات النظرية والمنهجية في تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني والآثار المترتبة على ذلك، والمرتبطة بحَجْبِ المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني، وإضعاف التطور الدلالي لألفاظه، وإهدار مقاصده الشرعية، واستبعاد حاكميته. وأما منهج البحث، فهو منهج وصفي يقوم على استعراض النصوص وتحليلها سعيًا للوصول إلى نتائج صحيحة اعتمادًا على أدلّة نقلية وعقلية – بعد طرح بعض المقدمات – مع توضيح بعض المصطلحات ومناقشة الآراء المطروحة في هذا الصدد، باعتبار أن المنهج الوصفي يقوم على استقراء المادة العلمية، التي تحكم إشكالًا ما أو قضية ما وعرضها عرضًا، مرتبًا ترتيبًا منهجيًا[2].

بالمزاوجة كذلك مع المنهج الاستقرائي-الاستقصائي أو المنهج التوثيقي في محاولة لاستقراء مختلف الآراء الواردة حول إشكالية تقديم أو تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني، باعتبار أن المنهج التوثيقي يُعنى به: «جمع أطراف أو أجزاء جسم علمي ما، متناثرة في أحشاء التراث، وإعادة تركيبها تركيبا علميا متناسقا»[3]. وبناء عليه، حاولت أن أنضد مضامين هذه الورقة البحثية وأرتبها حتى تكون كُلاً متسقًا للوفاء بالغرض، من خلال مقدمة ومبحثين من أربعة مطالب متضمنة لأمثلة موضحة، وخاتمة أُضَمِّنُ فيها أهم النتائج والتوصيات حسب خطة العمل التالية:

1- طه جابر العلواني، **لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب** (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)، ص 77.

2- المرجع نفسه، ص 67.

3- فريد الأنصاري، **أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية** (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، 1997)، ص 75.

المبحث الأول: تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية: التجليات والتداعيات

المطلب الأول: خِلالٌ ومخالفاتٌ نظريةٌ في تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني

أولًا: مخالفة قاعدة «الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية»

ثانيًا: مخالفة تراتبية المنهج السديد في تفسير الكتاب المجيد

المطلب الثاني: خِلالٌ ومخالفات منهجية في تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني

أولًا: مخالفة أسباب النزول المرتبطة بلسانيات الخطاب الشرعي

ثانيًا: مخالفة السلف في بيان اللسان القرآني

المبحث الثاني: آثار خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية

المطلب الأول: أثر التغليب اللغوي في حَجْبِ المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني

المطلب الثاني: أثر تغليب اللسان العربي في كبح التحول الدلالي لألفاظ اللسان القرآني

المطلب الثالث: أثر تقديم المنهج اللغوي على اللسان القرآني في إهدار المقاصد الشرعية

المطلب الرابع: أثر تقديم اللسان العربي في استبعاد حاكمية اللسان القرآني

خاتمة: أُضَمِّنُها أهم التوصيات والمقترحات

المبحث الأول: تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية: التجليات والتداعيات

يروم هذا المبحث بيان أن اللسان العربي رغم أنه من أهم مصادر التفسير إلا أنه لا يستقل الاعتماد عليه دون المصادر الأخرى بفهم القرآن، وأنه يوقع في الغلط، لأن التفسير السديد للكتاب المجيد قد يكون من جهة هذه المصادر، أو تكون هذه المصادر محددة للمعنى اللغوي المحتمل عند تعدد وجوه التفسير، وتغليب التفسير اللغوي على اللسان القرآني يوقع صناعة التفسير في مخالفات وخِلَالٍ (جمع خَلل) نظرية ومنهجية؛ نتطرق بالشرح والتوضيح لأهمها في مطلبين أساسين:

المطلب الأول: خِلالٌ ومخالفات نظرية في تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني

أولًا- مخالفة قاعدة «الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية[4]»

جاء الشرع بمصطلحات ومفاهيم جديدة على اللسان العربي، وإن كان أصلها لا يزال باقيًا في المصطلح، وإنما زاد الشرع عليه بعض الضوابط، فخرج بذلك عن كونه حقيقة لغوية إلى كونه مصطلحًا شرعيًا موسومًا بــ «الحقيقة الشرعية»، ونشأ عن ذلك إشكالية: فيما لو تجاذب اللفظَ الحقيقةُ اللغوية والحقيقةُ الشرعية، أيهما يقدم؟

وكانت القاعدة: «الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية، لأن الشارع معني ببيانها لا ببيان اللغات». والمقصود أن الأصل في ما جاء من الأسماء الشرعية في اللسان القرآني، أن يفسر على مصطلح الشرع، وإن فسر على اللغة فقط، كان في ذلك قصور وإخراج للفظ عن مفهومه الشرعي[5]. فـ «لسان القرآن» يُخرج اللفظ عن كونه مجرد لفظ، لأنه يحمّل اللفظ طاقات دلالية لم يعهدها أحد في تلك الألفاظ قبل نطق القرآن بها، فهو يفرغها ويملؤها، ويمنحها معاني ودلالات جديدة تمامًا[6]. ومن الأمثلة البارزة في تبيان إشكالية تقديم أو تغليب اللسان العربي على اللسان القرآني، وأثر ذلك في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية بل الخطورة في تحريف مرادها وتحريف الكثير من مدلولاتها الشرعية: مفهوم الإيمان

4- نجم الدين الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (دمشق: مؤسسة الرسالة، 1987)، ص 209.

5- وقد ألف في هذا الموضوع بعض علماء اللغة: كابن قتيبة (ت 246 هـ) في أول كتابه: «غريب القرآن»، وأبي حاتم الرازي (ت 322 هـ)، في كتابه: «الزِّينة في الكلمات الإسلامية»، وابن فارس (ت 395 هـ) في كتابه: «الصَّاحبي في فقه اللغة»، كما كتب فيه علماء أصول الفقه والعقائد تحت مسمى: (الحقيقة الشرعية)، أنظر: المرجع نفسه، ص 634.

6- طه العلواني، مرجع مذكور، ص 17.

ومفهوم الولاء والبراء.

فالإيمان في المصطلح الشرعي يشمل: التصديق بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[7]، وبتتبع توجيهات اللسان القرآني بخصوص مفردة الإيمان؛ نخلُص إلى أنه مطلوب التحقيق للنجاة الأخروية؛ وهو شيء زائد على التصديق في لسان القرآن، كقوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: 33]، وجعل البراءة من الشرك شرط الدخول الجنة؛ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: 82].

وبتغليب اللسان العربي، قال قوم: هو التصديق، وبنوا على ذلك: أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال الجوارح، وأن الإيمان الذي في القلب يكون تامًا بدون شيء من الأعمال وكافيا لدخول الجنة، وأنكروا كذلك أن يكون في الإيمان ذاته زيادة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: 173]؛ لأنه عندهم هو التصديق فقط، وهو شيء واحد، لا يتصور فيه الزيادة، وجعلوها زيادة في متعلقاته، وليس في ذاته[8]. وهذا التغليب اللغوي تحريف خطير لمدلول الإيمان في اللسان القرآني، وقصور في فهم مضامينه القرآنية حين القول بأن مجرد التصديق كاف للنجاة الأخروية، ومخالف لما نبه إليه النبي ﷺ في كثير من الأحيان كقول: «وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»[9].

ولقد تطرق ابن تيمية (ت 728 هـ) بتفصيل دقيق لإشكالية مفهوم الإيمان بين اللسان العربي واللسان القرآني في رده على من زعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وخص ذلك بكتاب سماه «كتاب الإيمان». حيث يقول في الوجه العاشر من رده على تغليب اللسان العربي في تفسير مفهوم الإيمان : «إنه لو فرض أن الإيمان في اللغة التصديق، فمعلوم أن الإيمان ليس هو التصديق بكل شيء، بل بشيء مخصوص، وهو ما أخبر به الرسول ﷺ، وحينئذ فيكون الإيمان في كلام الشارع أخص من الإيمان في اللغة، ومعلوم أن الخاص ينضم إليه قيود لا توجد في جميع العام»[10].

ويضيف في الوجه الثاني عشر من رده على تغليب اللسان العربي بحجة أن الشارع خاطب الناس بلغة العرب: «فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة، وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقًا وعامًا، ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه؛ فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق، فإنه قد يبين أني لا أكتفي بتصديق القلب واللسان، فضلًا عن تصديق القلب وحده، بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2]»[11]. ومن الأمثلة الجديدة بالدراسة كذلك في هذا السياق؛ مفهوم الولاء والبراء[12]؛ فبتتبع هذا المصطلح في لسان العرب نجده يتضمن أربع دلالات متقاربة تتجسد في القرب والقرابة والصداقة والمحبة[13].

7- تقي الدين ابن تيمية، **كتاب الإيمان** (عمان: المكتب الإسلامي، 1996)، ص 162.

وتقي الدين ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، الجزء 7 (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995)، ص 672.

8- أبو محمد ابن عطية، **المحرر الوجيز**، الجزء 3 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ)، ص424.

9- رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، **كتاب القدر**، باب ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[الأنبياء: 95] [ح 6612، الجزء 8، ص 125].

10- ابن تيمية، كتاب الإيمان، مرجع مذكور، ص 105.

11- المرجع نفسه، ص 106.

12- يقصد بمفهوم الولاء والبراء محبة ونصرة الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين ومحبة كل عمل يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وبغض ومعاداة كل من حاد الله تعالى ورسوله ﷺ، وبغض كل عمل لا يحبه الله ورسوله ﷺ وفق الشريعة؛ عصام بن عبد الله السناني، حقيقة الولاء والبراء (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، 2008)، ص 44.

13- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون (دمشق: دار الفكر، 1979)، ص 1104.

أما البراء؛ فهو من التباعد والتنزه والمزايلة، قال ابن الأعرابي: «بَرِئَ إذا تخَلَّصَ، وبَرِئَ إذا تَنَزَّهَ وتباعَدَ»[14]. يقول ابن فارس: «التَّبَاعُدُ مِنَ الشَّيْءِ وَمُزَايَلَتُهُ»[15]. وعلى هذا يتبين أن الولاء هو القرب وما يدخل ضمنه من مظاهر المحبة والنصرة والإعانة، والبراء هو البعد وما يدخل ضمنه من مظاهر البغض والمجانبة والمعاداة. فلو تم تفسير العديد من نصوص الوحي بتغليب اللسان العربي أو في معزل عن مراد اللسان القرآني، سيوقع الأمة أفرادا وجماعات في أخطار محدقة وخطيرة، تزداد خطورة كلما غُلِّبَ في فهم مناطات الولاء والبراء التفسيرُ الحرفي للنص النقلي، حيث يصير الحوار والهدنة مع الآخر مولاة مُكفِّرة.

ولذلك نجد الجماعات الغالية تتخذ مثل هذه الفهوم الخاطئة كسبب وذريعة للتكفير وجواز قتل المعاهدين والمستأمنين في بلاد المسلمين من منطلق «البراء اللغوي المطلق»، فكان ذلك مطيةً لتشويه صورة الإسلام النقية التي بُنيت على السلم والبر والرحمة والتسامح، فنبذوا عَقْدَ الاتفاقيات والأحلاف والمعاهدات، وقرروا بطلانها جملة وتفصيلا؛ وأسسوا رأيهم على أنها تخالف نصوص الولاء والبراء العامة، وأنها تنازل صريح عن العقيدة، وضعف براء مع الكفار. فكم من مفاهيم خاطئة أنتجت تطبيقات باطلة ومنحرفة، حتى أصبح يرمى الإسلام وأهله بالغدر والخيانة وعدم التزام العهود والمواثيق الدولية ذات الطابع السلمي والإنساني؛ وهذه المفاهيم الخاطئة تردها نصوص اللسان القرآني في نسقها العام وتكذبها نصوص المدونة الحديثية الصحيحة والشواهد التاريخية لسيرة الرسول ﷺ.

ثانيًا- مخالفة تراتبية المنهج السديد في تفسير الكتاب المجيد

يروم هذا المطلب القول بأن تقديمَ اللسان العربي أو تغليبَه على اللسان القرآني هو منهج مخالفٌ لتراتبية المنهج السديد في تفسير الكتاب المجيد التي تنطلق من اللسان القرآني، بتفسير القرآن بالقرآن، مرورًا بالسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وأئمة التفسير، وصولًا للسان العربي. يزخر تراثنا الإسلامي بالعديد من العلماء الأماجد الذين حاولوا سبر أغوار اللسان القرآني، فتجدهم لا يجعلون اللسان العربي مركبًا وحيدًا للاجتهاد في تفسير اللسان القرآني، ولم يجعلوا منه وسيلة لنبذ الروافد الأخرى الضرورية لفهم القرآن؛ كالسنّة والسيرة ومرويات الصحابة والإجماع وغيرها. منهم من صنّف في «غريب القرآن»، ومنهم من صنّف في «إعراب القرآن»، ومنهم من صنّف في «معاني القرآن» وغيرها من العلوم.

لعلمهم الأكيد بأن أطروحة تغليب اللسان العربي في تفسير اللسان القرآني تهدف بالأساس إلى تمييع النصّ القرآني وجعله طيّعا في أيدي أصحاب هذا الطرح، يذهبون به كل مذهب، ويضعونه على أي معنى يريدون، بلجوء البعض إلى المعنى اللغوي للكلمات، لعلمهم بأنّ لسان العرب واسع، تجدُ للكلمة الواحدة فيه العديد من المعاني والاستعمالات، ويُعينهم على ذلك الطبيعة الاشتقاقية للّغة العربية، حيث يمكن بالنزول إلى الجذر للأسفل، ثم العودة للأعلى باتجاه آخر للعثورُ على معانٍ جديدة وإلصاقها باللفظ الوارد في النصّ القرآني، ومن ثم الخروج بتفسير جديد تمامًا للنصّ، مما يؤدي إلى تحريفه!
ومن الأمثلة التي تظهر مبادرة الرسول ﷺ لدفع التوهم الذي قد يحصل لدى صحابته من تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني:

- تفسيره معنى الوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، قال ﷺ: (والوسط: العدل)[16].
- تفسيره الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]، عندما أشكل على عدي بن حاتم، ففسره ﷺ بأنه بياض النهار وسواد الليل[17].

14- محمد بن مكرمابن منظور، **لسان العرب**، الجزء الأول (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، ص 33.

15- ابن فارس، مرجع مذكور، ص 236.

16- رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد، **كتاب أحاديث الأنبياء**، باب قوله:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[نوح: 1]، [ح 3339، الجزء 4، ص 134].

17- رواه البخاري في صحيحه عن عدي، **كتاب الصوم**، باب قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة: 187]،[ح 4509، الجزء 6، ص 26].

ـ تفسيره الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: 82]، حيث قال الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟

قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13][18].

وفي معرض رد الدكتور بن ناصر الطيار عن سؤال: هل ورد عن النبي تفسير لغوي؟

يصرح: «لقد استقرأت التفسير النبوي للقرآن الكريم، ووجدته أنه لم يفسر للصحابة من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إليه، وهو قليل»[19].

وفي ذلك إشارة إلى أن مفردات القرآن قابلة للتطور أو التحول الدلالي ضمن دائرة تجليات اللسان القرآني تروم تحقيق الشهود الحضاري، وتستوعب حدود المكان والزمان، والإنسان والعمران، لذلك ظل اللسان القرآني محورًا لكثير من الدراسات منذ اللحظة الأولى لنزوله، وعلى الرغم من تنوع هذه الدراسات وتعددها، وما بذله العلماء فيها من جهود مضنية للإحاطة بالكثير من جوانبه، فقد بقيت هذه الجهود قاصرة، شاهدة بذاتها على أن اللسان القرآني يجاوز كل طاقات النفس البشرية. وعلى الرغم من توالي الأحقاب والسنين، وتنوع الأعمال المعجميّة التي أُلِّفت حول القرآن الكريم وقراءاته عمومًا، فقد بقي المجال مفتوحًا لأعمال معجمية أخرى تضاف إلى الأعمال المعجمية السابقة، وتسد فراغًا لا تسده هي مجتمعة أو متفرقة[20].

يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره التحرير والتنوير بخصوص التطور الدلالي للسان القرآني من منطلق أن القرآن لا تنقضي عجائبه: «ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرًا في ورقات قليلة، ثم لو كان التفسير مقصورًا على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية لكان التفسير نزرا»[21]. ومن الأمثلة المعاصرة في تقديم اللسان العربي عن اللسان القرآني بدون احترام التراتبية المعروفة عند أهل صناعة التفسير، تفسير الدكتور محمد شحرور لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14]

حيث انتقى من بين الشروحات المتعلقة بالنساء المعنى اللغوي الصرف المتضمن في النسيء بمعنى التأخير، يقول: «ومن هنا جاءت كلمة النساء على أنها المتأخرات، ويمكن إطلاق هذا المصطلح على كل شيء جاء متأخرًا». ويضيف في نفس السياق: «وهنا يظهر معنى النساء في آية الشهوات، والتي تعتبر الشهوة رقم واحد، والتي يشتهيها كل الناس؛ وهي المتأخرات من المتاع «الأشياء»، أي ما نسيء منها أو نقول عنه في المصطلح الحديث «الموضة»، فالإنسان يشتهي آخر موضة في اللباس وفي السيارات وفي الأثاث والستائر وفي البيوت، فنرى أن هذه الشهوة الموجودة عند الإنسان في الأرض قاطبة والإنسان يشتهي المتأخر «الجديد» من الأشياء كلها، فالأشياء عام 1986 جاءت متأخرة عن الأشياء المنتجة عام 1985، فكل الأشياء المتجددة أي جاءت متأخرة، نَسِئَتْ عما قبلها؛ جملها القرآن بمصطلح واحد هو النساء»[22].

18- رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، **كتاب تفسير القرآن الكريم**، بَابُ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]،[ح 4629، الجزء 6،ص 56].

19- بن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 65.

20- أحمد مختار عبد الحميد عمر، **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته** (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت)، ص 1.

21- الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الأول (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ص 28.

22- محمد شحرور، الكتاب والقرآن، سلسلة دراسات معاصرة (دمشق: دار الأهالي قراءة معاصرة، د.ت)، ص 643.

وعلته في ذلك اتساق هذا المعنى مع سياق الآية التي تتحدث عن «متاع الدنيا»، منبهًا إلى رابطة التجانس بين الأشياء والحاجات الست المذكورة ذات الطبيعة المادية، فهو ينكر أن يكون معنى «نساء» جمع امرأة، لأنها مخلوق عاقل لا يتسق مع تجانس الشهوات الست، وإنما يزعم أنّ النساء هنا جمع «نسيء»، أي التأخير. ومن ثمّ يصبح المعنى: الأشياء المؤخّرة، أي الأشياء الجديدة المحبوبة للناس، أي الموضة[23].

وبنفس الطريقة، وبتغليب اللسان العربي يؤول لفظ «البنين «حيث يقول:» البنون: جاءت من الأصل «بنن» وتعني اللزوم والإقامة، وعندما يتزوج الذكر، فإنه يبنى على الأنثى، وكان يبنى له خيمة منفصلة عند العرب» وعلى هذا القياس يلخص إلى أن: «المعنى الحقيقي للبنين هو اللزوم والإقامة، وهذه هي صفة الأبنية والبنيان، وقد جاءت في المعنى الحقيقي في قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: 133]، وهنا ربط البناء بتذليل الأنعام، فلولا تذليل الأنعام لما استقر الإنسان وبنى له مسكنا. وقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]، فالبنون هنا هي الأبنية من اللزوم، وليس الذكور من الأولاد والمال كل ما يمول الإنسان من نقد ومواد تحويلية، فقوله تعالى (البنون) يعني الأبنية التي هي المواد غير المنقولة[24].

المطلب الثاني: خلَلٌ ومخالفات منهجية في تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني

أولًا- مخالفة أسباب النزول المرتبطة بلسانيات الخطاب الشرعي

في نظري أن التعامل مع اللسان القرآني يفرض استحضار اتساق مصطلحاته وتعاضد مفاهيمه المطلقة وتطابقه كوحي مقروء مع الوحي المنظور المتجسد في الكون، فمفرداته لها خصوصية «الحياة والشهود الحضاري» تميزها عن باقي الألسنة البشرية، ولا يمكن إدراك مفاهيم اللسان القرآني المطلقة إدراكًا سديدًا، وتنزيلها تنزيلًا صحيحًا إلا بربطها بمختلف سياقاتها الاجتماعية والنفسية والسياسية والتاريخية... باعتبارها مفردات «حية» وليست «مجردة» من منطلق أنها نزلت من رب العالمين على النبي الأمين على مكث، ومداومة نزولها طيلة ثلاث وعشرين سنة؛ قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[الإسراء: 106]. يقول الإمام البغوي في تفسيرها أي: «عَلَى تُؤَدَةٍ وَتَرْتِيلٍ وَتَرَسُّلٍ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً»[25]. إنها ثلاث وعشرون سنة من التنزيل بكامل تفاصيلها، فكيف نفهم تجليات اللسان القرآني بدون أن نفهم ما يتعلق بها من أسباب وسياقات متعددة؟

حتى إن اللسان القرآني نفسه يرفض فكرة التنزيل المجرّد الذي يأتي جملة واحدة، معزولًا عن معترك الحياة وملابساتها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 33]. وفي هذا السياق، لا زالت أتساءل مع أصحاب هذا الرأي، هل يمكن للسان العربي أن يفهم مراد اللسان القرآني في معزل عن فهم أسباب النزول وفهم السيرة النبوية؟ وهل يمكن تفهم الحكم والدروس والعبر والأحكام المستفادة من عشرات الآيات بل المئات بدون معرفة أسباب نزولها؟ وما مدى علمية تقديم وتغليب اللسان في اقتناص مفاهيم اللسان القرآني مباشرة بمعزل عن أسباب النزول والسياقات المؤطرة؟

23- وعلى نفس النهج ذهب في تأويل النساء؛ بقوله إن لفظة النساء في الكتاب جاءت بمعنى جمع نسيء لا جمع امرأة في الآيات: 223 من سورة البقرة، الآية 14 من سورة آل عمران، الآية 31 من سورة النور، الآية 55 من سورة الأحزاب، انظر: محمد شحرور، مرجع مذكور، ص 647.

24- المرجع نفسه، ص 644.

25- الحسين الفراء الشافعي البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الجزء 3 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ)، ص167.

من المغالطات التي وقع فيها كثير من المفسرين الذين آثروا اللسان العربي إيثارًا مطلقًا في فهم وإفهام المفردات القرآنية ومفاهيمها:

- تفسيرهم قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189].

فسَّرَه أبو عبيدةَ (ت: 210): «أي اطلبوا البرَّ منْ أهله ووجهه، ولا تطلبوه عندَ الجهلة المشركينَ»[26].

وفسَّرَه بعضهم على «أنَّ البيوتَ كنايةٌ عنِ النِّسَاءِ، ويكونُ المعنى: وأتوا النِّسَاءَ منْ حيثُ أمرَكم اللهُ»[27]، والعربُ تُسَمِّي المرأةَ بيتاً، قالَ الشاعرُ[28]:

مَا لي إذَا أنْزِعُهَا صَأيتُ ... أكِبَرٌ غَيَّرَني أمْ بَيتُ

أرادَ بالبيتِ المرأةَ[29]

وهذانِ التفسيرانِ لا يحملانِ لفظَ البيوتِ على الحقيقة، بل يجعلانه من اتساع العربية في المجازِ والكنايةِ، وهذا مخالفٌ لما وردَ عن السَّلفِ من حملهم البيوت على الحقيقة اعتمادًا على سببِ نزول الآيةَ[30].

وكلا هذين القولين يَظْهَرُ منهما عدمُ العملِ بسببِ النزولِ الواردِ في الآيةِ الذي يدلُّ على أنَّ المرادَ بالبيوت البيوتُ المسكونةُ، ولو لم يكنِ السَّبَبُ واردًا لاحتملَ ما قالوا، وإنما ذهبوا إلى ذلكَ التَّفسيرِ لعدمِ العملِ بما وردَ من التَّفسيرِ عنِ السَّلفِ الذي يجعلُ اللَّفظَ على حقيقته[31].

- وتفسيرهم كذلك ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[الأنفال: 11]، قال أبو عبيدة (ت: 210): «مجازه: يفرغ عليهم الصبر، وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم»[32].

وقصة نزول الآية تدل على أن المعنى اللغوي الذي ذكره غير مراد، وأن المراد: يثبت أقدامهم التي يمشون بها على الرمل كي لا تسوخ فيه، كما وردت بذلك الرواية عن السلف، منها ما قال ابن عباس (ت: 68): «وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مُجْنِبِين مُحْدِثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول ﷺ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون، وملأوا الأسقية، وسقوا الركاب، واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهورًا، وثبت الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها مطرًا، فضربها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام»[33].

26- معمر بن المثنى أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، الجزء الأول، تحقيق محمد فواد سزگين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1381 هـ)، ص 68.

27- العز بن عبد السلام السلمي، **تفسير القرآن** (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، الجزء الأول، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي (بيروت، دار ابن حزم، 1996)، ص 195.

أبو بكر محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الجزء 2، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصري، 1964)، ص 346.

28- الرجز بلا نسبة في عدَّة مراجع: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ص 241.

صأيت: من قَوْلهم صأى الفرخ إذا سَمِعت لَهُ صَوتًا ضَعِيفًا.

29- المرجع نفسه، ص 257.

30- ورد للآية أكثر من سبب، والجمهور على أنه بسبب اعتقاد المشركين في الإحرام، أي أن المحرم لا يدخل بيته من الباب، بل يفتح له بابًا من ظهره ويدخل منه، ينظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الجزء 3، تحقيق أحمد ومحمود شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000)، ص 555.

31- ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 516.

32- معمر بن المثنى أبو عبيدة، مرجع مذكور، ص 242.

33- الطبري، مرجع مذكور، الجزء 13، ص 424.

وهذه الأقوالُ وأشباهُها في التَّفسير فيها ضعفٌ؛ لأنها تعتمدُ اللُّغةَ فقط، دونَ النَّظرِ في المصادر الأخرى التي هي مقدَّمةٌ على مجرَّدِ اللُّغة. وهذا لا يعني أنَّ الأقوالَ الصَّحيحةَ في فهم الآيةِ ليست من التَّفسيرِ اللُّغويِّ، بل قد تكون منه، لكنها اعتمدت مصدرًا آخرَ معه؛ كسبب النُّزول، وإجماع الحُجَّة من أهلِ التَّأويل، وسياقِ الآيات، وهذه هي التي رجَّحَت المعنى اللُّغويَّ المقبولَ دونَ غيره[34]، ويَعُدّ الشاطبي (ت 790 هـ)، دلالة السياق أحد المسالك المهمة في التعرف على القصد الشرعي، فإن السياق وما يقترن به من القرائن الحالية، أو القرائن المقالية تدل على المصالح في المأمورات، والمفاسد في المنهيات[35]، وهو مما يمكِّن من الكشف عن مراد اللسان القرآني بفهم مقاصده باختلاف تجلياتها، وكذلك يمكِّن الفقيه من الترجيح بين الأقوال المتعارضة وتقوية القول الراجح.

ثانيًا- مخالفة السلف في بيان اللسان القرآني

ومقصود ذلك أن الاعتماد على اللغة، وإهمال الوارد عن السلف من التفسير اللغوي أحد أسباب مخالفة تفسير السلف في بيان اللسان القرآني، وقد يكون القول مما لا تحتمله الآية مع قول السلف[36]. وفي هذا السياق ينبه أبو حيان(ت: 745 هـ) على زعم الاكتفاء بلغة العرب في فهم التفسير: «ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم، وتباينت أقوالهم»[37].

نفس الأمر درج عليه أبو عبيدة (ت 210 هـ) بالقول: «فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه»[38]. وهنا تطرح مسألة منهجية – في غاية الأهمية– تتعلق بضرورة استحضار السياق المجتمعي لتداول المفردات القرآنية في اجتهادات السلف الذين عايشوا نزولها على مكث؛ فهم الذين عايشوها وتعاملوا معها؛ لأنّهم هم الذين عاصروا تجلياتها الواقعية، لا سيما عندما يتعلق الأمر بمفردات اللسان القرآني ذات البعد الشرعي والقيمي. يقول ابن القيم: «وقد كانت الصحابةُ أَفْهَمَ الأمة لمراد نبيِّها وأَتْبَعَله، وإنما كانوا يُدَنْدِنُونَ حول معرفة مراده ومقصوده، ولم يكن أحد منهم يظهر له مُرَادُ رسول اللّٰه ﷺ ثم يَعْدِلُ عنه إلى غيره البتَّة»[39].

لا ريب أن بعض المفردات جاءت في القرآن الكريم، ولم تكن معروفة في الاستعمال العربي، وذلك ما أشار إليها لبحث من اللسان العربي القرآني، في مقام التفريق بين جذور المفردات والاستعمال التداولي، والاستعمال القرآني[40]؛ فيلجأ في معرفة ذلك من أقوال المعصوم والصحابة العرب. ومثاله: مصطلح «التّفَث» قال الأزهري (ت 370 هـ): التّفَثُ في كلام العرب لا يعلم إلا منقولًا بن عباس[41]، فقد استعمل على لسان الفقهاء في إذهاب الشعث والدرن والوسخ مطلقا[42]؛ وذلك مستوحى من فهم الاستعمال القرآني؛ ولما لميكن لهذه المفردة أصل استعمال يفي لسان العرب، فالأصحاب المعاجم بأن التَّفَث

34- ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 516.

35- أبو إسحاق اللخمي الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، الجزء 3، خرج أحاديثه أحمد السيد، وعلق عليه عبد الله دراز (القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2003)، ص 412.

36- ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 516.

37- معمر بن المثنى أبو عبيدة، مرجع مذكور، ص 13.

38- المرجع نفسه، ص 8.

39- شمس الدين ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، الجزء 2، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، 1973)، ص 387.

40- حسن كاظم أسد، **الأداء المنهجي في تفسير آيات الأحكام**، رسالة دكتوراه (جامعة الكوفة، 2009)، ص 36.

41- محمد بن أحمد الهروي الأزهري، **تهذيب اللغة**، الجزء 14، تحقيق محمد عوض مرعب (بيروت: إحياء التراث العربي، 2001)، ص 191.

42- ابن الأثير، **النهاية من غريب الحديث**، الجزء الأول، تحقيق طاهر الزاوي (بيروت: المكتبة العلمية، 1399 هـ)، ص 191.

في المناسك: ما كان من نحو قلم الأظفار والشارب وحلق الرأس والعانة، ورمي الجمار، ونحر البدن وأشباه ذلك. قال أبوعبيدة: «ولم يجئ فيه شعْرٌ يحتجبه»[43]. فلم يعهد لهذه اللفظة وجود؛ فمادتها المتكونة من (التاء والفاء والثاء) كلمة واحدة فيقول الله ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾[الحج: 29].

ولذلك درج المفسرون في بيان المفهوم الدلالي لمصطلح «التفث» مستندين إلى تفسير ابن عباس وابن عمر (رضي الله عنهما)[44]: التفث بأنه جميع المناسك، وذلك يدل على فهم الصحابة من العرب ما جاء في القرآن الكريم من مفردات، ما يستدعي الرجوع إلى فهم هم في التفسير، واحترام منهجية التراتبية في تفسير المفردات القرآنية المذكورة سابقًا، وعدم الإخلال بها بتغليب اللسان العربي في فهم اللسان القرآني، لأن هناك بعض الألفاظ القرآنية وردت في اللسان القرآني وليس لها شاهد في اللسان العربي، ولم يعرف مدلولها أهل اللغة، وإنما أخذوها عن المفسرين.

ومثال ذلك: مصطلح «الربانيين» في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: 79]؛ قال أبو عبيدة (ت: 210): «لَمْ يَعْرِفُواْ الربانيين»[45]، يقصد بقوله: «لم يعرفوا»: أهل اللغة، نفس الأمر درج عليه أبو عبيد (ت: 224) بقوله: «وأحسب الكلمة ليست بعربية، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم»[46]؛ لذلك فتفسير الصحابة العرب حجة في اللغة يلزم قبوله، وهو مقدم على قول اللغويين. ومثال ذلك أيضًا: ما وردَ في تفسير السَّلوى من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: 57]، فالسَّلوى: طَيرٌ، بإجماعٍ منْ مفسري السَّلفِ، وإن اختلفوا في صفته[47].

ونُقل عن أهل اللسان العربي بأنه العسل واستدلوا له بقول الهُذَليِّ:

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْداً لأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذا مَا نَشُورُهَا

وذُكِرَ أنَّه العسل بِلُغَةِ كِنَانَةَ، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنه يُسَلَى به[48].

وكَونُ السلوى في لغةِ العرب: العَسَلُ، لا يلزمُ منه صحَّةُ حمله على معنى السَّلْوَى في الآية، قالَ ابنُ الأعرابيِّ (ت: 231): «والسَّلوى: طائرٌ، وهو - في غيرِ القرآنِ - العَسَلُ»[49]. وهذا هو الحقُّ. ولو أردتَ أن تحملَ الآيةَ على المعنيين، فإنَّ الآيةَ لا تحتملُهما معاً، ولذا يتعيَّنُ حملُها على أحدِهما، ولا شكَّ أنَّ الأولى حملُها على الواردِ عن السَّلفِ[50].

ومن الأمثلة التي وقع فيها اعتراض من بعض اللغويين، ما يأتي: مصطلح «الطلح» في قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾

43- إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، الجزء الأول، تحقيق أحمد عطار (بيروت: دار العلم للملايين، 1407 هـ)، ص 274.
وهو نفس ما درج عليه ابن فارس، مرجع مذكور، الجزء الأول، ص 350.

44- العبسي ابن أبي شيبة، **مصنف ابن أبي شيبة**، الجزء 3، تحقيق كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد، 1409 هـ)، ص 429.
قال ابن عمر (رضي الله عنهما): «مَا عَلَيْهِمْ فِي الْمَنَاسِكِ»، وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): «التَّفَثُ الرَّمْيُ، وَالذَّبْحُ، وَالْحَلْقُ، وَالتَّقْصِيرُ، وَالْأَخْذُ مِنَ الشَّارِبِ وَالْأَظْفَارِ وَاللِّحْيَةِ».

45- معمر بن المثنى أبو عبيدة، مرجع مذكور، ص 97.

46- أبو منصور موهوب الجواليقي، مرجع مذكور، ص 161.

47- ابن عطية، مرجع مذكور، الجزء الأول، ص 305، وقد أورد الطبري الرواية عن: ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة، من رواية السدّي، وعن الشعبي، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، ووهب، وابن زيد. ينظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آيات القرآن**، الجزء 2، ص 96 وما بعدها، وزاد ابن أبي حاتم ذِكْرَ الرواية عن الضحاك، والحسن، وعكرمة. ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن العظيم** (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، 1419 هـ)، ص 178.

48- القرطبي، مرجع مذكور، الجزء الأول، ص 407.

49- محمد بن أحمد الهروي الأزهري، مرجع مذكور، الجزء 13، ص 49.

50- من الأمثلة في هذا: تفسير أبي عبيدة لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ [يوسف: 31]، **مجاز القرآن**، مرجع مذكور، الجزء الأول، ص 308، وقد ردَّ عليه أبو عبيد القاسم بن سلام، صرح به الطبري، مرجع مذكور، الجزء 16، ص 71.
كما سبق نقاش بعض هذه الأمثلة من قبل ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 640.

[الواقعة: 29]، قال أبو عبيدة (ت: 210): «زعم المفسرون أنه الموز، أما العرب، فالطلح عندهم: شجر كثير الشوك»[51]. وعبارته هذه فيها تضعيف لما ورد عن المفسرين من السلف، كما أن فيها إشارة إلى أن ما ورد عنهم ليس من قول العرب! وقد ورد تفسيره بالموز عن صحابيين، هما: علي (ت: 40)، وابن عباس (ت: 68)، وورد عن جمع من التابعين، وهم: قسامة بن زهير (ت: بعد 80)، ومجاهد (ت: 104)، وعطاء (ت: 114)، وقتادة (ت: 117)[52].

المبحث الثاني: آثار خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية

المطلب الأول: أثر التغليب اللغوي في حَجْب المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني

أروم من خلال هذا المطلب تبيان الفرق بين دلالات اللفظ حين يُستعمل في الحقل القرآني وحين يُستعمل بواسطة اللسان العربي، فهو كالفرق بين المطلق والنسبي، فالنسبي لا يمكن أن يحيط بالمطلق أبدًا، لذلك فالاعتماد عليه وحده يَحْجُمُ المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني؛ فلا جرم أن اللسان القرآني لا تنقضي عجائبه وهو مناسب لكل العصور إلى أن تقوم الساعة، وكل جيل إلى يوم القيامة سيجد في هذا القرآن شيئًا جديدًا ولا نهاية لسبر معانيه ولا ساحل لها ولا غورل تأويله إلى يوم القيامة. من خلال تتبع كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ت 208 هـ)، نجده قد حاول فيه جاهدًا شرح مفردات اللسان القرآني لكن غلب عليه التفسير اللغوي الصرف، ولم يراع الاستعمال القرآني للكلمة ولا السياق الذي وردت فيه؛ فأوقع المفاهيم المتضمنة في اللسان القرآني في تعارض مع السياق العام للنص القرآني المفَسر.

ولعل الدكتورة عائشة عبد الرحمن المشهورة ببنت الشاطئ (ت 1419 هـ) من المعاصرين الذين أدركوا أثر التغليب اللغوي في حَجْبِ المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني، فبادرت في نهج منهجية علمية تتأسس على الاتساق الداخلي للمفردات القرآنية من جهة، والتعاضد الخارجي بينها وبين اللسان العربي من جهة ثانية، دون إغفال المصادر الأخرى كل حسب درجتها ومنزلتها؛ فجعلت هذا الأمر منهجًا في دراستها البيانية للمفردات القرآنية بقولها: «والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وإذ نخضع معاجم اللغة العربية، وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج؛ فإننا نحاول أن ندرك حس العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القرآني عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ، وواضح أنه لا سبيل إلى دراسة أي نص في لغة ما، دون فقه لألفاظه في لغته، ثم يكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة، من شتى الدلالات العجمية، أو يضيف إليها ملحظًا ينفرد به»[53].

ولقد حاولت الدكتورة عائشة بمنهج وسطي يجمع بين اللسانين القرآني والعربي، وبإدراك تام أن القرآن العظيم له لسانه ومعجمه الخاص وبيانه المعجز، أن تُظْهِر ذلك جليًا في بيانها لمعنى الضلال في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى: 7]؛ إذ تقول بأن أصل الضلال: في الاستعمال اللغوي من فقدان الطريق: أرضٌ مُضلة، يُضل فيها، والضلةُ الحيرة، ونقيض الضلال الهدى، وقد استعملته العربية حسيًا في الصخرة الناتئة في الماء يؤمن بها من العثار، وفي وجه النهار، يكشف معالم الطريق فيؤمن الضلال، ثم جاء الاستعمال المعنوي للضلال والهدى ملحوظًا فيهما الأصل الحسي. والاستعمال في المصطلح الديني للضلال والهدى بمعنى الكفر والإيمان، وقَوِيَ هذا الاستعمال حتى كاد يكون المتبادر على الإطلاق، والقرآن الكريم قد استعمل الضلال بمعنى الكفر والباطل، مع بقاء الملحظ الحسي اللغوي الذي هو ضلال الطريق، بدليل اقتران الضلال بالسبيل فيه عشرين مرة، ومعها آية السجدة ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: 10]، ويؤيد هذا الملحظ استعمال العمى في الضلال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [النمل: 81]،

51- معمر بن المثنى أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، مرجع مذكور، الجزء 2، ص 250.

52- ينظر الرواية عنهم في: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل آيات القرآن**، الجزء 23، مرجع مذكور، ص 111 وما بعدها.

53- عائشة بنت عبد الرحمن، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، الجزء 2 (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص 7.

ومن المفسرين من قالوا في آية الضحى: إن الضلال هنا هو الكفر[54]. فهل يتسق هذا المعنى اللغوي مع الاعتبار الشرعي؟

ولقد ردت الدكتورة عائشة كل التأويلات الناتجة عن منهج تغليب اللسان العربي في اقتناص مفاهيم مفردات اللسان القرآني من خلال تأويلات غير سديدة لمفردة «الضلال» بقولها: «وما بنا حاجة إلى كل هذه التأويلات، يكفي في الرد على مَن فسروا الضلال بالكفر، أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائمًا المعنى الاصطلاحي، وإنما لُحظ فيه – كما رأينا – الأصل اللغوي من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب: قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[يوسف: 95]، وقالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف: 8]، وليس الضلال هنا الكفر، وإنما هو الشغف بيوسف، وقالت النسوة في امرأة العزيز ويوسف: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف: 30]، وليس شيء من هذه الآيات بالذي يحمل الضلال فيه، على معناه الاصطلاحي وهو الكفر، فالاحتكام للقرآن نفسه، يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال بمعنى الكفر، وهو أيضًا يعفينا من تلك التأويلات العشرين التي تكلفوها في تفسير الآية لينفوا الكفر عن سيدنا محمدﷺ قبل أن يبعث، لا نقول هنا إلا ما قاله الله تعالى لنبيه المصطفى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[الشورى: 52]، فقد كانت حالته قبل المبعث حالة حيرة، عاف حال قومه وأنكرها، ولكن أين الطريق المستقيم؟ وكيف المخرج والنجاة؟ ولبث على حيرته أمدًا حتى جاءته الرسالة؛ فهدته إلى الدين القيم، وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال»[55].

ويظهر من خلال تتبع الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في تفسيرها البياني، أنه كانت لها طريقة منهجية تتسم بالدقة في الحصول على المعاني الدقيقة؛ فنراها تذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي، وتعرض آراء المفسرين للفظة (الضلال)، وترد عليهم، ولا تغفل السياق القرآني لاستخراج المعنى الدقيق، فأعادت اللفظة إلى أصل لغوي استخلصته من ذلك السياق نفسه، فالضلال هنا تعني الحيرة كما يرشحها السياق الذي وردت فيه[56]. والحاصل في هذا السياق: أن المفردة في اللسان القرآني لها ثقل معنوي تتعدد تجلياته الشرعية والقيمية والإنسانية؛ فهي تحمل رسالة إلهية موجهة إلى الروح والعقل، إلى الإنسان والعمران، تجمع بين الشمولية والعالمية وتتوخى الشهود الحضاري؛ لذلك فاختيار اللسان القرآني لمعجمه جاء بعناية خاصة، وبدقة عالية تناسب أجواءها لمعنوية السامية، وبميزة الإعجاز لتمايزه عن اللسان العربي، والحقيقة أن معاجم اللسان العربي جاءت في نسقها العام لبيان المعاني المحتملة للمفردة القرآنية[57].

المطلب الثاني: أثر تغليب اللسان العربي في كبح التحول الدلالي لألفاظ اللسان القرآني

أرنو من خلال هذا المطلب الإشارةَ إلى التحول أو التغير الدلالي الحاصل على ألفاظ اللسان القرآني، كدليل على استقلالية الكلمة القرآنية في معناها عن لغات البشر، حيث تَفَطَّنَ كثيرٌ من القدماء إلى هذا التغير الدلالي الحاصل على ألفاظ القرآن الكريم من خلال تفريقهم بين الأسماء العرفية والأسماء الشرعية. ويمكن الوقوف على أثر هذا الخلل من خلال «جامع البيان» للطبري (ت 310 هـ)، حيث استحضر فيه بحس نقدي أثَرَ تغليب المنهج اللغوي على حساب اللسان القرآني، وحيث تناول فيه في نفس الوقت بقوة وبعمق علمي رصين منهجَ التحول الدلالي لألفاظ اللسان القرآني، فوظف هذا المنهج في تفسيره أحسن توظيف، ديدنه فيه أن للكلمة معنى في اللسان القرآني هو غير المعنى الذي كان في اللسان العربي[58]. ومن الدراسات المعاصرة التي تنبهت إلى معالم مهمة من آثار هذا الخلل الدراسة التي قام بها الدكتور حميد الدين الفراهي (ت 1349 هـ)، الموسومة بـ «مفردات القرآن الكريم: نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية»، تتبع فيها

54- المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 44.
55- المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 45.
56- حسين جليل علوان، **الأصل اللغوي وأثره في التفسير البياني عند الدكتورة بنت الشاطئ** (القادسية: جامعة القادسية، 2014)، ص 14.
57- حسن كاظم أسد، «مجالات المفردة اللغوية في تفسير القرآن الكريم»، **مجلة مركز دراسات الكوفة**، (2011)، ص 11.
58- ولمزيد نَظَر وتدبُّر، تراجع دراسة محمد المالكي الموسومة بدراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره، ص 310 وما بعدها. (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996)

الكلمات العربية التي أخذت معاني جديدة داخل الحقل القرآني، باعتبار نظرية الحقول الدلالية في اللسانيات الحديثة، فبيّن تعميم الدلالة وتخصيصها، والسياقات التي تستعمل فيها الكلمة في القرآن.

والدراسة الحديثة التي قام بها الدكتور عبد العال سالم مكرم الموسومة بـ «الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني»، حيث اعتمد فيه على كتاب «الزينة» لأبي حاتم الرازي (ت 322 هـ) وأضاف إضافات علمية موفقة. حيث تبرز أهمية الدرس الدلالي لمفردات اللسان القرآني من خلال الآثار المتواترة؛ فالسلف المتلقون لمفردات اللسان القرآني كانوا على وعي تام بتطور دلالاتها المطلقة المستوعبة لكل الأعيان والأزمنة والأمكنة، حتى قال علي بن أبي طالب (ت: 40) لابن عباس (ت: 68) لما أرسله إلى الخوارج لمجادلتهم: «اذهب إليهم، ولا تخاصمهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه»[59]، كما أن التطور الدلالي للمفردات القرآنية التي تستوجب أوجها تفسيرية يحتملها النص بلا تضاد مقبولة عند السلف[60].

ومما صرح به الشنقيطي (ت: 1393) في بيانه للسان القرآني أنه لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع[61]، كما حققه بأدلته ابن تيمية (ت 728 هـ) في رسالته في علوم القرآن[62]. نفس الأمر درج عليه الطاهر بن عاشور (ت: 1393) في مقدمة تحريره للمعنى السديد للكتاب المجيد، وعنون لها بقوله: «المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها»[63]، وأسهب في الحديث عن هذه المقاربة الجديدة بما يقرب من عشر صفحات[64]. وهنا تبرز أهمية المعاني المتجددة للسان القرآني كخاصية أساسية من خواصه المتعددة والمتنوعة، وذلك في معالجة جميع المشكلات التي يعاني منها المسلم في مختلف الأزمنة والأمكنة.

فهو من هذا المنطلق حمال أوجه، وتغليب اللسان العربي النسبي في اقتناص مفاهيمه المتجددة والمطلقة، تكبح التطور الدلالي، وتذهب خاصية الأوجه التي هي صفة ملازمة للسان القرآني المطلق، حيث تظهر بجلاء خاصية التطور الدلالي لمفردات اللسان القرآني لتحقيق الشمولية والعالمية والشهود الحضاري الكوني، فاستبعاد حاكمية اللسان القرآني تذهب تلك الخصائص المطلقة. ومن الأمثلة الدالة على التطور الدلالي لمفردات اللسان القرآني، مفردة «أَقْلَام»، الأصل في المعنى اللغوي للقَلْم عند الوضع كان: البري والقص بطريقة معينة، حتى صار سببًا لتسمية أداة الكتابة بالقَلَم فيما بعد؛ قال أهل اللسانَ العربي في القلم – الأداة التي تستعمل للكتابة – هو «مَعْرُوف، وقَلّمتُ الظُّفرَ، إذا قصصته»[65]، والأصل فيه «يَدُلُّ عَلَى تَسْوِيَةِ شَيْءٍ عِنْدَ بَرْيِهِ وَإِصْلَاحه. مِنْ ذَلِكَ: قَلَمْتُ الظُّفُرَ وَقَلَّمْتُهُ. وَيُقَالُ لِلضَّعِيفِ: هُوَ مَقْلُومُ الْأَظْفَارِ. وَالْقُلَامَةُ: مَا يَسْقُطُ مِنَ الظُّفُرِ إِذَا قُلِمَ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ سُمِّيَ الْقَلَمُ قَلَمًا، قَالُوا: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُقْلَمُ مِنْهُ كَمَا يُقْلَمُ مِنَ الظُّفُرِ»[66].

لقد ورد القلم بمعناه المشهور في اللسان القرآني، وثمة دلالة جديدة لهذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران: 44]؛ إذ تعني:

59- أخرجه بن سعد الهاشمي بالولاء، **الطبقات الكبرى لابن سعد**، الجزء الأول، تحقيق محمد بن صامل السلمي (الطائف: مكتبة الصديق، 1993)، ص 181.

60- ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 597.

61- محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الجزء 3 (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر،1995)، ص 124.

62- تقي الدين ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير** (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1980)، ص 49.

63- الطاهر ابن عاشور، مرجع مذكور، ص 93.

64- ابن ناصر الطيار، مرجع مذكور، ص 604.

65- محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، الجزء 2، مرجع مذكور، ص 974.

محمود بن عمرو الزمخشري، **أساس البلاغة**، الجزء 2، تحقيق محمد باسل (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، ص 99.

66- ابن فارس، مرجع مذكور، الجزء 5، ص 15.

«سِهَامُهُمُ الَّتِي اسْتَهَمَ بِهَا الْمُتَسَاهِمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى كَفَالَةِ مَرْيَمَ»[67]، كانوا يسمونها قِدَاحًا[68]، وأزلامًا[69]؛ فتحولت الدلالة من الأقلام والكتابة إلى السهام والقرعة. فما سر هذا التحول الدلالي؟ يمدنا الزَّجَّاج في هذا السياق أنَّ العلاقة بين القلم والسهم علاقة مشابهة، فكلاهما يبرى ويقصّ مرة بعد أخرى، وهذه المشابهة كانت سببا في انتقال دلالة اللفظ من أداة الكتابة إلى سهام الاقتراع، وكأنَّ هذا السهم المقترع به؛ سيكتب ويحدد نصيب كل واحد من المقترعين، وكلاهما صار «وسيلة في ضبط أمر وإحداثه ونظمه ماديًّا أو معنويًّا»[70]. عمومًا فالدلالات الجديدة المبتكرة في اللسان القرآني قد لا ترجع إلى الجذر ودلالاته الكامنة، أو أنها نقلت عن معناها الأصلي، فلا حجة حينئذ بالأصل من اللسان العربي، ولكن العرب قبل النزول استعملوها في معنى آخر، ونقلها القرآن إلى معنى جديد، كما عبر عن ذلك صاحب المصباح باعتماد النقل بالقول: «لأَنَّ النَّقْلَ فِي اللُّغَاتِ كَالنَّسْخِ فِي الأَحْكَامِ»[71].

والحاصل أن هذا التبدل في المعاني لا يمكن دراسته بمنأى عن المنهج التاريخي الذي يهتم ببيان السيرة التاريخية للمفردة المدروسة ليتسنى لنا معرفة الدلالات التي رافقتها من أول وضعها إلى آخر استعمالها[72]، والمقدار الذي لا بد من توافره لدى المفسر من اللسان العربي ليس بالضرورة كل ما اندرج تحت اللسان العربي الذي يسع لسان العرب، وما اتفق معه وإن لم يستعمل أو هجر، وإنما الضروري هو لسان القرآن وجملة مما يتعلق به من المستعمل من الألفاظ العربية عصر النزول[73]، فدراسة ألفاظ القرآن الكريم، وما تتبع ألفاظه في لسان العرب إن هي إلا مرحلة أولية من مراحل الدراسة لمعرفة التطور الحاصل على اللفظ في لسان العرب ثم التطور الذي أحدثه القرآن على اللفظ، وبهذا يكون تتبع ألفاظ القرآن في لسان العرب ليس هدفًا في ذاته، وإنما هو وسيلة معينة على الفهم[74].

المطلب الثالث: أثر تقديم المنهج اللغوي على اللسان القرآني في إهدار المقاصد الشرعية

أهدف من خلال هذا المطلب توضيح أن المنهج اللغوي في تفسير الخطاب واستثماره يمكن أن يسعف في تجلية مراد النص، لكنه لا يقوى على ملاحظة الحكمة المتوخاة من تشريع ذلك الحكم، مما يكون له أثر في تكييف المعنى بما يناقض مقصود الشارع المعلوم قطعا[75]. ولقد أشار الفقيه المقاصدي الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ) في تحريره للمعنى السديد من اللسان القرآني، الموسوم بـ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، حيث يصرح بأسلوبه ومنهجه في المقدمة العاشرة في إشارة بليغة إلى عدم كفاية التفسير اللغوي وضرورة الالتفات إلى اللسان القرآني في فهم الخطاب الشرعي، بقوله: «ثم ليظهر من جراء ذلك كيف تَفَوَّقَ القرآنُ على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله»[76].

67- محمد بن جرير الطبري، مرجع مذكور، الجزء 6، ص 407.

68- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، **القرآن وإعرابه**، الجزء الأول، تحقيق عبد الجليل شلبي (بيروت: عالم الكتب، 1988)، ص 410.

69- محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الجزء الأول، تحقيق عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص 262.

70- حسن المصطفوي، **التحقيق في كلمات القران الكريم**، الجزء 9 (طهران: وزارة الثقافة، 1416 هـ)، ص 345. ولمزيد من صور التطور الدلالي لمفردات اللسان القرآني يراجع أطروحة ابتهَاج الجبوري، سمّاع عَلي حسين، **أثر المفسرين في توجيه دلالة الاستعمال القرآني**. رسالة دكتوراه (جامعة القادسية، سنة 2015)، ص 188.

71- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الجزء 5 (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ص 254.

72- يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، «علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات»، 2008، ص 102.

73- عمر محمد سعيد الشفيع، «اللسان العربي تعريف وتصنيف» في aljazeeratalk.net

74- حسن كاظم أسد، «أهمية اللسان العربي في فهم المراد من القرآن»، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، المجلد 4، العدد 14 (2011)، ص 94.

75- عبد الهادي الخملشي، **تغليب المنهج اللغوي في استثمار الخطاب الشرعي**، في مجموعة مؤلفين، مناهج الاستمداد من الوحي (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008)، ص 121.

76- الطاهر بن عاشور، مرجع مذكور، الجزء الأول، ص 101.

ومثال ذلك: اختلاف الفقهاء في مصارف الزكاة، المذكورة في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: 60]؛ هل يجزئ صرفها كلها إلى واحد فقط من الأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية أم لا بد من توزيعها على جميع الأصناف؟[77]. فمنهم من رأى وجوب استيفاء كل الأصناف الثمانية، وأسس رأيه على تحكيم قواعد النحو واللغة، وبنوا على ذلك أن المقتصر بالإعطاء على صنف واحد، مثل أن يعطي جميع زكاته للفقراء أو يعطي جميعها الغارمين معطل للفظ الآية، وحجتهم في ذلك أن اللام للاستحقاق والتمليك، والعطف بالواو للجمع والتشريك.

غير أن هذا التغليب للمنهج اللغوي في فهم اللسان القرآني قد أسهم في إهدار المقاصد الشرعية للزكاة المتعلقة في نسقها العام بسد خَلّة ذوي الحاجات والنظر في مصالح الناس، مما يكون له أثر في تكييف المعنى بما يناقض مقصود الشارع المعلوم قطعا[78]. والحاصل: صحيح أنَّ اللغة هي مفتاح تفسير ألفاظ القرآن، وتحديد دلالاته، وعليها المعول في استنباط أحكامه، فَجَدَّ علماء اللسان القرآني في دراستها والدعوة إلى تعلمها[79]، مع علمهم اليقين بأن المقدار الذي يحتاجه المفسر لمعرفة دلالات اللغة لا بد أن لا يقل عن لسان القرآن، ليس جميع دلالات اللسان العربي الذي يؤلف الجامع الأعلى لكلا لألسنة العربية تحته التي يمكن تصورها في ثلاثة ألسنة (هي لسان العرب ولسان القرآن واللسان الكامن)[80].

ويقصد باللسان الكامن: الجذور غير المستعملة والناتجة من تبادل الجذر الثلاثي. ولسان العرب: هو كل الألفاظ التي استعملتها العرب في كل عصورهم، ومن ضمنها كثير من ألفاظ القرآن، سواء اختلفت دلالتها وتداولها مع القرآن أو اتفقت معه. ولسان القرآن: وهو الألفاظ المذكورة حصرًا في القرآن الكريم التي تنتظم ألفاظًا مشتركة بين الألسنة العربية في الدلالة والتداول، «ولسان القرآن يتميز بالمحدودية والتناهي فهو محدود في جذوره وصياغاته التي يمكن إحصاؤها عددًا ولكنه غير متناهٍ في امتداد معانيه عبر الزمان والمكان...»[81]. فألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح لفقهه وفهمه، وبفهمها وفقهها يفهم ويضبط الدين، فالوحي مركب من مجموعة من المفاهيم التي تتولد عن ألفاظه. ولا سبيل إلى المفاهيم المكونة للقرآن بغير دراسة ألفاظه؛ فهي المفتاح إلى فهم المراد[82].

المطلب الرابع: أثر تقديم اللسان العربي في استبعاد حاكمية اللسان القرآني

هدف هذا المطلب الإشارة إلى وضع مصطلحات ومفاهيم اللسان القرآني في مرتبتها المناسبة عند استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية، باعتبار مفرداتها تحمل معاني مطلقة، تنفتح في كل عصر على مستجداته وإشكالياته، لتستوعب تلك المستجدات، وتقوم بترقيتها لتنفتح على معاني أخرى في استمرارية فريدة، حيث إن التعاملَ مع «مفردات اللسان القرآني» لا يمكن أن يتم بطرق التحليل اللسانية المعاصرة، بل يحتاج الباحث إلى تتبع «تاريخ المفردة قبل عصر التنزيل»، ثم دراسة معناها في «الاستعمال القرآني في عصر التنزيل»، ثم تتبع مسيرتها بعد ذلك، ليتضح أن مفاهيمَ اللسان القرآني مفاهيمٌ

77- ابن رشد الحفيد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، الجزء 36 (القاهرة: دار الحديث، 2004)، ص 2 وما بعدها.

78- أبو المعالي عبد الملك الجويني، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، ص 398.

الشريف الإدريسي، **كفاية طالب البيان**، مرجع مذكور، الجزء 2، 8 ص 39.

عبد الهادي الخملشي، **تغليب المنهج اللغوي في استثمار الخطاب الشرعيفي مجموعة مشاركين**، مناهج الاستمداد من الوحي، ندوة دولية، الرابطة المحمدية للعلماء (الدار البيضاء: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008)، ص 134.

79- أماني بنت عبد العزيز، **الأثر الدلالي للمفسرين في المعجم العربي (التهذيب نموذجًا)**، رسالة ماجستير (جامعة أم القرى/السعودية، 1423 هـ)، ص 6.

80- عمر الشفيع، «اللسان العربي تعريف وتصنيف»، **موقع أهل القرآن**، 2008/7/31 في http://tiny.cc/3ikj6y

81- المرجع نفسه.

82- الشاهد البوشيخي، **القرآن الكريم والدراسة المصطلحية** (تنزانيا: دار السلام، 2012).

كاملةً وليست مفرداتٍ لفظيةً كما درج على ذلك كثيرٌ من المتقدمين والمتأخرين.

ولعل عمل الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) في كتابه الموسوم بـــ «المفردات أو مفردات القرآن الكريم» يمكن اعتباره من أوائل من التفت إلى هذا الجانب المنهجي؛ حيث تتبع المفردات في آيات القرآن الكريم لتحديد المعاني التي اشتملت عليها استنادًا على السياق الذي وردت فيه، لكن مقصود «حاكمية اللسان القرآني» يشمل جهد الراغب الأصفهاني ويضاف إليه «التتبع التاريخي للمفردات القرآنية» لئلا نقع في نسبة «مفردات اللسان القرآني» إلى النسبية، فبدل أن تكون حاكمة تكون محكومة بأحكام ومعاني «التطور الدلالي للمفردات اللغوية»[83]. فحاكمية اللسان القرآن تخرج اللفظ عن كونه مجرد لفظ، لأنه يحمل اللفظ طاقات دلالية لم يعهدها أحد في تلك الألفاظ قبل نطق القرآن بها، فهو يفرغها ويملؤها، ويمنحها معاني ودلالات جديدة تمامًا.

ومثال ذلك مصطلح البيِّنة، حيث يريد به الفقهاء من أهل اللغة الشهود، مع أنه في اصطلاح الشرع أرحب وأوسع، وحين فهموا نصوص الشرع بما أصلوه من معنى حجروا وضيقوا واسعًا، وأغلقوا أبوابًا من إثبات الحقوق فتحها الشارع الحكيم؛ يقول ابن القيم (ت 751 هـ) في تقرير ذلك: «وبالجملة: فالبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره، ومن خصها بالشاهدين، أو الأربعة، أو الشاهد لم يوف مسماها حقه. ولم تأت البينة قط في القرآن مرادًا بها الشاهدان، وإنما أتت مرادًا بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة ومجموعة»[84]. ومن هنا تظهر سطوة هذه الحاكمية، كون القرآن لا يفسره إلا لسان القرآن ذاته، فلسان القرآن وإن كان عربيًا مبينًا، إلا أنه قد حول تلك المعاني البسيطة الساذجة المعبرة عن مستوى فكر العربي في تلك المرحلة، إلى معانٍ لم تكن معهودة من قبل: فكل الكلمات الشرعية مثل «الإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج والكفر والشرك والنفاق... وما إليها» كانت معانيَ بسيطة في الاستعمال العربي الجاهلي، فقام القرآن بتنقيتها وشحنها بالمعاني التي أراد لها أن تحمل وتشتمل عليها[85].

كما أن حاكمية اللسان القرآني هي الاختبار الحقيقي لصحة الدراسة اللغوية لكلمة ما، فالهدف الحقيقي هو فهم أعمق لمفردات اللسان القرآني[86]، فألفاظه ومفاهيمه لا تخطئ أبدًا، فالقرآن يشرح بعضه بعضًا، فالمفردات القرآنية مترابطة بينها ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض، وتطبيق هذه الحاكمية المطلقة التي تستوعب كل تجليات اللسان العربي النسبي، فهو من هذا المنطلق أعظم مرجع لغوي[87]. وعليه، فمن أهم واجبات عصرنا الراهن أن نبحث عن معاني القرآن في القرآن ذاته، ونجعل من التاريخ اللغوي، والتطور الدلالي، ومعرفة الواقع وعلاقة اللغة به مراجع معضّدة ساندة، وليست أصولاً ومصادر حاكمة، فذلك المنهج سيجعلنا في مأمن من الانحراف في معاني القرآن، ودلالات ألفاظه، أو الاضطراب في فهم معانيه، أو إسقاط قواعد لغات البشر عليه. ومن هنا فإن الحاجة ماسة إلى بناء «قاموس قرآني مفاهيمي» يُعتمد فيه على القرآن المجيد أساسًا، وتجعل لغات العرب فيه مراجع ساندة ومعضّدة لا حاكمة، وتكون الحاكمية في ذلك للقرآن المجيد على كل ما عداه من شعر العرب ونثرهم، وسجعهم وسائر فنون كلامهم[88].

83- طه جابر العلواني، **لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب**، مرجع مذكور، ص 77.

84- ابن قيم الجوزية، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، المجلد الأول، تحقيق نايف بن أحمد الحمد (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، د.ت)، ص 25.

ولمزيد نظر يراجع دراسة عبد الوهاب عبد السلام طويلة، **أثر اللغة في اختلاف المجتهدين** (القاهرة: دار السلام، 2000).

85- طه جابر العلواني، مرجع مذكور، ص 17.

86- حامد العولقي، «نشوء البيان»، **بوابة الخيمة**، في http://tiny.cc/c9kj6y

87- نعيمة البداوي، «لغة القرآن»، **بوابة الخيمة**، في http://tiny.cc/c9kj6y

88- طه جابر العلواني، مرجع مذكور، ص 77.

كما أن فهم القرآن الكريم في «وحدته البنائية» وقراءته عبر «الجمع بين القراءتين» ومن خلال «لسان القرآن» ذاته، هو وحده القادر على أن يسهم في معالجة مشكلات أمتنا وعالمنا المعاصر، فعندما نستطيع صياغة مشكلاتنا بشكل صحيح وشامل في شكل أسئلة محددة، ونتجه بها إلى القرآن المجيد بهذه المحددات المنهجية، ضارعين مفتقرين، فمن المؤكد أن القرآن سيقودنا إلى الكامن فيه، والمضمر في ثنايا نصه، وقد يقودنا باتجاه التاريخ نستنطقه، وإلى نماذج الأمم السابقة نسألها عن أخبارها، والأشباه والنظائر لنحللها، حتى يعطينا أجوبة شافية وحلولًا سديدة لمشاكل عالمنا المعاصر.

النتائج والتوصيات

هكذا نأتي بعون الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الورقات البحثية التي تروم دراسة موضوع جدير بالبحث والدراسة والمتابعة موسوم بـــ «خلل تقديم اللسان العربي على اللسان القرآني وأثره في بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية»، حيث يمكن تلخيص أهم نتائجها وتوصياتها في المحاور التالية:

نتائج

أولًا: أبان البحث بأن اللسان العربي رغم أنه من أهم مصادر التفسير إلا أنه لا يستقل بفهم اللسان القرآني، وأن الاعتماد عليه دون المصادر الأخرى يوقع في الغلط، وتغليب التفسير اللغوي على اللسان القرآني يوقع صناعة التفسير في مخالفات نظرية ومنهجية تسهم في تحريف المراد عند بناء المصطلحات والمفاهيم القرآنية وتحريف الكثير من مدلولاتها الشرعية.

ثانيًا: كما أوضح البحث بأن المنهج اللغوي في تفسير الخطاب واستثماره يمكن أن يسعف في تجلية مراد النص، لكنه لا يقوى على ملاحظة الحكمة المتوخاة من تشريع ذلك الحكم، مما يكون له أثر في تكييف المعنى بما يناقض مقصود الشارع المعلوم قطعًا.

ثالثًا: التعامل مع اللسان القرآني يفرض استحضار اتساق مصطلحاته وتعاضد مفاهيمه المطلقة، وتطابقه كوحي مقروء مع الوحي المنظور المتجسد في الكون، فمفرداته لها خصوصية «الحياة والشهود الحضاري» تميزها عن باقي الألسنة البشرية، ولا يمكن إدراك مفاهيم اللسان القرآني المطلقة إدراكًا سديدًا، وتنزيلها تنزيلًا صحيحًا إلا بربطها بمختلف سياقاتها الوجودية، باعتبارها مفردات «حية» وليست «مجردة».

رابعًا: كما خَلُصَ البحثُ إلى أن تقديم اللسان العربي أو تغليبه على اللسان القرآني هو منهج مخالفٌ لتراتبية المنهج السديد في تفسير الكتاب المجيد التي تنطلق من اللسان القرآني، بتفسير القرآن بالقرآن، مرورًا بالسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وأئمة التفسير، وصولًا للسان العربي، وأن أطروحة تغليب اللسان العربي في تفسير اللسان القرآني تهدف بالأساس إلى تمييع النصّ القرآني وجعله طيّعا في أيدي أصحاب هذا الطرح للعثورُ على معانٍ جديدة غير سديدة وإلصاقها باللفظ الوارد في النصّ القرآني، ومن ثم الخروج بتفسير جديد تمامًا للنصّ، مما يؤدي إلى تحريفه!

خامسًا: أشار البحث إلى أن الفرضية القائمة على إهمال الوحدة البنائية للقرآن من جهة، وعلى اعتبار «الحاكمية على لسان القرآن» للغة العربية من جهة أخرى، هي نظرية خاطئة التجليات وخطيرة التداعيات، فالمفردة القرآنية مفهوم متكامل يضم معاني عديدة يستوعب بها لغات عصر التنزيل، وينفتح بعدها على سائر المعاني الأخرى التي يستفيد منها الفكر الإسلامي والإنساني عبر مختلف العصور.

سادسًا: كما خَلُصَ البحثُ إلى أن هناك فروقًا مهمة بين دلالات اللفظ حين يُستعمل في الحقل القرآني، وحين يُستعمل بواسطة اللسان العربي، فهو كالفرق بين المطلق والنسبي، فالنسبي لا يمكن أن يحيط بالمطلق أبدًا، لذلك فالاعتماد عليه وحده يحجم المعاني العظيمة والمطلقة التي يحملها اللسان القرآني على اعتبار أن المفردة في اللسان القرآني لها ثقل معنوي تتعدد تجلياته الشرعية والقيمية والإنسانية، فهي تحمل رسالة إلهية موجهة إلى الروح والعقل، إلى الإنسان والعمران، تجمع بين الشمولية والعالمية وتتوخى الشهود الحضاري.

سابعًا: كما أشار البحث إلى التحول أو التغير الدلالي الحاصل على ألفاظ اللسان القرآني، كدليل على استقلالية الكلمة القرآنية في معناها عن لغات البشر، استقلالية تروم التفريق بين الأسماء العرفية والأسماء الشرعية، ومن هنا تبرز أهمية المعاني المتجددة للسان القرآني كخاصية أساسٍ من خواصه المتعددة والمتنوعة، وذلك في معالجة جميع المشكلات التي يعاني منها الإنسان في مختلف الأزمنة والأمكنة، وتغليب اللسان العربي النسبي في اقتناص مفاهيمه المتجددة والمطلقة، تكبح التطور الدلالي، وتُذْهِبُ خاصية الأوجه التي هي صفة ملازمة للسان القرآني المطلق.

التوصيات

أولًا: مواصلة هذه السبل الناجحة في إثراء موضوعات الندوات والمؤتمرات المستقبلية، وتنويع المقاربات لتسليط الضوء على الأسس المنهجية للبحث في المفاهيم والمصطلحات في العلوم الاجتماعية والشرعية، فكل محور من محاور الندوة يستحق أن يكون موضوعًا رئيسًا للدراسة والمناقشة والإثراء.

ثانيًا: تحفيز الباحثين والدارسين على الاهتمام بمعالجة قضايا المجتمع ومشكلاته المعاصرة من خلال توجيهات اللسان القرآني؛ وذلك بوضع مصطلحات ومفاهيم اللسان القرآني في مرتبتها المناسبة عند استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية، باعتبار مفرداتها تحمل معاني مطلقة تنفتح في كل عصر على مستجداته وإشكالياته، لتستوعب تلك المستجدات، وتقوم بترقيتها لتنفتح على معاني أخرى في استمرارية فريدة، وتحفيز الباحثين المتخصصين على تلمّس ذلك ومعالجته المعالجة العلمية الصائبة.

ثالثًا: الاهتمام بالمنهج التاريخي في دراسة المفاهيم والمفردات القرآنية لإدراك التطور الدلالي، وذلك ببيان السيرة التاريخية للمفردة المدروسة ليتسنى لنا معرفة الدلالات التي رافقتها من أول وضعها إلى آخر استعمالها، حيث إن التعاملَ مع «مفردات اللسان القرآن» لا يمكن أن يتم بطرق التحليل اللسانية المعاصرة، بل يحتاج الباحث إلى تتبع «تاريخ المفردة قبل عصر التنزيل»، ثم دراسة معناها في «الاستعمال القرآني في عصر التنزيل»، ثم تتبع مسيرتها بعد ذلك ليتضح أن مفاهيمَ اللسان القرآني مفاهيمٌ كاملةٌ وليست مفرداتٍ لفظيةً كما درج على ذلك كثيرٌ من المتقدمين والمتأخرين.

رابعًا: تحفيز الباحثين المتخصصين على الإنتاجات العلمية ذات الصلة التي تتوخى تتبع المفردات في آيات القرآن الكريم لتحديد المعاني التي اشتملت عليها استنادًا على السياق الذي وردت فيه، وذلك من خلال التتبع التاريخي للمفردات القرآنية بغية بناء «قاموس قرآني مفاهيمي» يعتمد فيه على القرآن المجيد أساسًا، وتجعل اللسانيات العربية فيه مراجع ساندة ومعضّدة لا حاكمة، وتكون الحاكمية في ذلك للسان القرآني، بما يحمله من خصائص قادرة على منح اللغة العربية طاقات الحياة والخلود، واستيعاب معطيات العمران والشهود الحضاري وتحقيق مبدأ الاستخلاف على الأرض بالإصلاح والتعمير.

المراجع

القرآن الكريم.

ابن تيمية، تقي الدين. **كتاب الإيمان.** عمان: المكتب الإسلامي، 1996.

ابن تيمية. **مجموع الفتاوى.** المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995.

ابن تيمية. **مقدمة في أصول التفسير.** بيروت: دار مكتبة الحياة، 1980.

ابن عاشور، الطاهر. **التحرير والتنوير.** تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.

ابن عطية، أبو محمد. **المحرر الوجيز.** بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

ابن فارس. **معجم مقاييس اللغة.** تحقيق عبد السلام محمد هارون. دمشق: دار الفكر، 1979.

ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب.** بيروت: دار صادر، 1414هـ.

الأنصاري، فريد. **أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية.** الدار البيضاء: منشورات الفرقان، 1997.

البداوي، نعيمة. «لغة القرآن». **بوابة الخيمة.** في http://tiny.cc/c9kj6y

البغوي، الحسين الفراء الشافعي. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي).** تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

ابن دريد الأزدي، محمد بن الحسن. **جمهرة اللغة.** تحقيق رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي. **تهذيب اللغة.** تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: إحياء التراث العربي، 2001.

الجبوري، ابتهَاج. حسين، **سمّاع عَلي. أثر المفسرين في توجيه دلالة الاستعمال القرآني.** رسالة دكتوراه. جامعة القادسية، سنة 2015.

الجوالقي، أبو منصور موهوب. **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم.** القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1969.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.** المجلد الأوّل. تحقيق نايف بن أحمد الحمد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1428هـ.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** تحقيق طه عبد الررؤف سعد. بيروت: دار الجيل، 1973.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح.** تحقيق أحمد عطار. بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك. **البرهان في أصول الفقه.** تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

العولقي، حامد. «نشوء البيان». **بوابة الخيمة.** في http://tiny.cc/c9kj6y

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.** بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

القرطبي، أبو بكر محمد. **الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.** القاهرة: دار الكتب المصري، 1964.

الشفيع، عمر. **اللسان العربي تعريف وتصنيف.** في: www.aljazeeratalk.net

الشفيع، عمر. «اللسان العربي تعريف وتصنيف». **موقع أهل القرآن.** 2008/7/31 في http://tiny.cc/3ikj6y

الشنقيطي، محمد الأمين. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.** بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1995.

الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آيات القرآن.** تحقيق أحمد ومحمود شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000.

الطوفي، نجم الدين. **شرح مختصر الروضة.** تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. دمشق: مؤسسة الرسالة، 1987.

العبسي، ابن أبي شيبة. **مصنف ابن أبي شيبة.** تحقيق كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ.

الحفيد، ابن رشد. **بداية المجتهد ونهاية المقتصد.** القاهرة: دار الحديث، 2004.

الخملشي، عبد الهادي وآخرون. **مناهج الاستمداد من الوحي.** الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008.

الرازي، ابن أبي حاتم. **تفسير القرآن العظيم.** مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، 1419.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. **القرآن وإعرابه.** تحقيق عبد الجليل شلبي. بيروت: عالم الكتب، 1988.

الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.** تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الزمخشري، محمود بن عمر. **أساس البلاغة.** تحقيق محمد باسل. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.

السلمي، العز بن عبد السلام. **تفسير القرآن.** تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي. بيروت، دار ابن حزم، 1996.

المصطفوي، حسن. **التحقيق في كلمات القران الكريم.** طهران: وزارة الثقافة، 1416هـ.

السناني، عصام بن عبد الله. **حقيقة الولاء والبراء.** الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، 2008.

الشاطبي، أبو إسحاق اللخمي. **الموافقات في أصول الشريعة.** القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2003.

أسد، حسن كاظم. «أهمية اللسان العربي في فهم المراد من القرآن». **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية.** المجلد 4. العدد 14 (2011).

أسد، حسن كاظم. «مجالات المفردة اللغوية في تفسير القرآن الكريم». **مجلة مركز دراسات الكوفة** (2011).

أسد، حسن كاظم. **الأداء المنهجي في تفسير آيات الأحكام.** رسالة دكتوراه. جامعة الكوفة. 2009.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان. **البحر المحيط في التفسير.** تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، 1420هـ.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. **مجاز القرآن. تحقيق محمد فواد سزگين.** القاهرة: مكتبة الخانجى، 1381هـ.

بنت عبد الرحمن، عائشة. **التفسير البياني للقرآن الكريم.** القاهرة: دار المعارف، د.ت.

بنت عبد العزيز، أماني. **الأثر الدلالي للمفسرين في المعجم العربي (التهذيب نموذجًا).** رسالة ماجستير. جامعة أم القرى، السعودية، 1423هـ.

بالولاء، بن سعد الهاشمي. **الطبقات الكبرى لابن سعد.** تحقيق محمد بن صامل السلمي. الطائف: مكتبة الصديق، 1993.

شحرور، محمد. **الكتاب والقرآن.** سلسلة دراسات معاصرة. دمشق: دار الأهالي قراءة معاصرة، د.ت.

علوان، حسين جليل. **الأصل اللغوي وأثره في التفسير البياني عند الدكتورة بنت الشاطئ.** القادسية: جامعة القادسية، 2014.

جابر العلواني، طه. **لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب.** القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006.

طويلة عبد الوهاب عبد السلام. **أثر اللغة في اختلاف المجتهدين.** القاهرة: دار السلام، 2000.

عبابنة، يحيى. الزعبي، آمنة. «علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات»، 2008.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته.** المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2002.

مجموعة مشاركين. **مناهج الاستمداد من الوحي.** ندوة دولية. الرابطة المحمدية للعلماء. الدار البيضاء: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008.